

واللونية ، فكانت تستخدم بضعة ألوان باهتة على خلفية بيضاء (لون الورق) غير ان استمرارهم في الرسم أدى الى استخدامات جيدة أظهرت حساسية عفويا بعلاقات اللون ، وتمكنت مجموعة من الرسومات من تحقيق نتائج طيبة في هذا المجال ، حيث بدأ من خلالها ادراكهم لطبيعة المادة وليونتها وإمكانية خلق شرائب وتوابع لونية أضفت على رسوماتهم ملمسا بارزا ، ظلما أظهرت تنظيمات عفوية لعلاقة الألوان القاتمة مع الألوان الفاتحة وإيقاعات وتنظيمات لونية خاصة . (٥) استخدام التفتيح : ثمة ظاهرة ملموسة بوجه عام عند اطفال البقعة ، وهي استحصال النقطة بلون واحد او اكثر في التخلص من الفراغ ، وهذا الاستعمال للنقطة يتضمن قيمة هامة في رسوم الاطفال ، اذ انها تشكل حلما لمشكلة الفراغ التي يواجهها الطفل بصعوبة بالغة ، كما ان النقطة بعد ذاتها قيمة جمالية هامة ، خاصة اذا فرشت على النحو الذي يفعله اطفال البقعة في ارضية الرسم ، اذ تكسب صورهم قيمة اشعاعية كبيرة وحيوية بالغة ، وجدنا على سبيل المثال مدرسة فنية كاملة تلجأ اليها ، كما هو الحال مع « الترقيمين او التفتيحين » . ويوسمي ان اتحدث عن الكيفية التي جرى بها اللجوء الى التفتيح في احد الصنوف ، غير اني لا استطيع تفسير تعميمها على النطاق الذي نلاحظه في مجموعة كبيرة من الرسوم ، فقد حسبت ان تمت هذه العملية بصورة ايجابية من قبل طفل بدأ بتفتيح ورسم نقط على صفحة الورقة ، فأحدث وتوسع التفتيح على الخشب ايقاعا معيناً استجاب له بقية الاطفال بصورة تلقائية ، وانتقلت هذه « العدوى » الى البقية ويلاحظ ان هذه الظاهرة تشمل الاطفال الذين ما زالوا في مراحل نمو اولية وتقلص تدريجيا مع تطور قدراتهم العامة . وربما ، يكون لخبرات الاطفال في المخيم ، مع ذرات التراب والغبار ، التي هي نقط صغيرة ، أساسا لحل مشكلة الفراغ في رسوماتهم بواسطة التفتيح . (٦) رغم انه لا يمكننا الحديث عن ألوان « مفضلة » عند اطفال البقعة ، لان أساس هذا التفضيل لم يكن متوفرا دائما ، اذ كثيرا ما كانت الألوان قليلة ومحدودة بحيث لا تسمح لهم بالاختيار . غير انه يمكن ان نسجل ملاحظة او اثنتين على تأثيرات اجتماعية بصدد اللون . ففي احد الصنوف ، انهضت طفلة في رسم امرأة ، وقالت بشيء من الفرح الطفولي سالون لمستان

وخلفنا للمأوف في رسوم اطفال البقعة ، فان بعض الرسوم للحرب والديابات او الطائرات كانت مجالا للزخرفة ، كما هو حال صورة « دبابه » لموسى خليل (٨ سنوات) ، « طائرة » لعمر محمد (٧ سنوات) . اما الطفل يعقوب محمد (١٣ سنة) ، الذي تميز بكثرة انتاجه وتباين موضوعاته وتعددتها ، عوضا عن ان رسومه تتميز بطابع شخصي مميز من عدة أوجه ، ويهمننا هنا ان نشير الى احداها ، وهو استخدامه للون الزهري ، ناهي تعود ان يصيغ خلفية الصورة او الارضية بهذا اللون ، الذي نفترض ان انتقاه له والاصرار عليه ليس تعسفيا فقد ارتبطت رسومه بدلالات بيئته بالتر من ناحية ، « فهو من اسرة تنتمي الى عرب بنو السبع ، المنطقة التي تتميز بطبيعة صحراوية » . نهر ، بأحراره على صيغ الارض باللون الزهري ، يدعنا الى الاعتقاد الى ان فكرته عن الارض وخبرته بالابتداء الصحراوي جعلته ينتهي بصورة واعية لونا صعبا يمتاز بدفئه وحرارته ، ليحبر رمزيا من هذه الخبرة ، في الوقت الذي يرفض فيه استخدام ألوان واقعية كالاصفر الاكبر او الترابي او البني القهواني ، وهي تلك التي يمكننا رؤيتها بصريا في رمال الصحراء او لون الارض .

ملاحظات لونية عامة : (١) يلجأ الطفل في مراحل مبكرة الى التلوين الرمزي ، يصيغ اطراف الاشكال التي يرسمها للدلالة على لونها ، دون ان يتم ثوبها ، كطلاء رأس الورقة العليا بالازرق دلالة على السماء وترك باقي المساحة بيضاء . (٢) يبدو ان الاناث من اطفال البقعة يتمتعن بحس لوني وزخرفي اكثر مما هو تصور العناصر التشكيلية الاخرى . وبصورة عامة يميل الاطفال ذكورا واناثا ، في مرحلة متأخرة نحو الزخرفة ونحو رسم التفاصيل وتلوينها . (٣) تظهر الموضوعات التالية استجابة نحو التلوين : - الزهور ، الطيور ، الخيم ، الربيع والقرية الفلسطينية ، الفواكه ، المساجد ، ملابس الفدائين وملابس النساء . كما ان موضوع القتال يستجيب لميول الذكور في التلوين ، ويلاحظ ذلك في رسوم مصطفى حسين (١١ سنة) ، حيث تتيح « البرقشة » في ملابس الفدائين المجال لاستخدامات لونية متعددة ، كذلك الحال مع لون الديابات والارض والجبال . (٤) أظهرت التجارب الاولى للاطفال عدم وجود خبرات لونية عندهم ، يبدو ذلك من خلال عدم ادراكهم لطبيعة العلاقات